سينما

مُشاهدة أفلام على شاشات الطائرات

لقطات تمرّ لعلّ بلوغ المدينة يحصل سريعاً

أحد أنواع المشاهدة السينمائية يتمثّل بعروض في الطائرات على شاشات صغيرة جداً، ما يطرح سؤال المشاهدة مجدداً، رغم تنوّع وسائل المُشاهدة الحديثة

نديم جرجوره

أسوأ أنواع المُشاهدات السينمائية، تلك المُقدَّمة في الطائرات. التنوّعُ كبيرٌ في وسائل المُشاهدة الحديثة، إنْ بفضل التقنيات العصرية، المتمكّنة من تحويل غرفةٍ في منزل إلى صالة سينمائية صغيرة، أو بفضل الانتشار الواسع للمنصّات المختلفة. التنوّع نفسه يحثّ على سؤال المُشاهدة في الطائرة، وهذا تقليد باقٍ، فالرحلات الطويلة. والأخرى القصيرة أيضاً، تلك التي تتجاوز 3 ساعات على الأقلّ. بين بلدان جمّة، تتطلّب ترفيهاً كهذا، يتمثّل بعضه أيضاً في قنوات للموسيقى، بأنواع وأساليب عدّة. هناك أيضاً شريط أخبار آنيّة، وهذا حكرٌ على مهتمّين بأحوال العالم، رغم أنّهم «فوق» العالم، في لحظات كهذه، أو ربما لأنّهم «فوق» العالم الآن، فأحواله تعنيهم أينما كانوا، في مقابل آخرين يرون في السفر وقتاً لراحة مطلقة، فينامون كثيراً، كأنّهم يريدون عزلةً تامة عن العالم وأحواله، وعن ناس العالم وارتباكاتهم واضطراباتهم وقلقهم.

المُشاهدة المذكورة تُلغي نسبةً هائلة من جودة الفيلم وتقنياته وفنيّاته، بصرياً وسمعياً، ما يؤدّي إلى شطب قِيَم عدّة في الموضوع والمعالجة وجماليات صُنع الفيلم. لكنْ، أيحتاج مسافرٌ إلى الجوانب الفنية والجمالية والدرامية، لتمضية وقتٍ بين بلدٍ وآخر؟ إن يُمنح شاشة كبيرة، وتقنيات صوت وصورة عصرية، في الطائرة نفسها (هذا حاصلٌ أو سيحصل، أقلّه في طائرات أكثر تطوّراً)، هل سينتبه إلى تلك الجوانب، أم سيظلّ مكتفياً بالترفيه والتسلية، وإن انتمت بعض الأفلام المُقدَّمة إلى الخيال العلمي أو الرعب أو القصص المُصوّرة والبطولات الخارقة؟ مُشاهدةٌ كهذه غير أساسية، والتسلية التي تُقدّمها عابرة، والوقت يمضي، كما المُشاهد، رغم أنّ الوقت يمضي مع تفكير وانتظار وقلق ربما، بينما المُشاهد تمرّ سريعاً وتنتهي، ولعلّ الوقت، حينها، يمرّ سريعاً وينتهي. كأنّ هذا يُصبح أحد أهداف عرض أفلامٍ على شاشة الطائرة: إيهام المسافر بأنّ الوقت سيمرّ سريعاً وينتهي، وبأنّ الطائرة ستبلغ المدينة المنتظرة قريباً، وبأنّ المسافات الطويلة تختزلها لقطات أفلام، يختار المُسافر منها ما يشعر بأنّها مناسبة لتسليته وترفيهه، في ساعاتٍ عدّة.

> هذا جزء من السينما وسحرها وقدرتها على تأجيج المشاعر

ساعات كتلك تدفع مسافراً، يحبّ السينما وأفلامها، إلى اختبار مسألة مُشاهدة أكثر من فيلمٍ واحدٍ في وقتٍ محدّد. المسافات الطويلةً تمنحه إمكانيةَ اختبار كهذا، إذ يُمكنه مُشاهدة 3 أفلام على الأقلّ، وهذا بحدّ ذاته اختبارٌ له إزاء «حقيقة» علاقته بالمُشاهدة، المنبثقة من حبّه للسينما وأفلامها. رغم أنّ الشاشة في الطائرة صغيرة جداً، ورغم أنّها تحول دون مُشاهدة سليمة، ودون تمكّن المسافر. المُشاهد من التمتّع بها وبما في الأفلام من مسائل وتقنيات وشخصيات ونبراتٍ وعلاقات، يضع اختبارُ مُشاهدة أكثر من فيلمٍ واحدٍ، في وقتٍ محدّد، المسافرَ. المُشاهدَ، الذي يحبّ السينما وأفلامها، أمام سؤال علاقته بالسينما وأفلامها، وبالمشاهدة في «مكان واحد وزمن واحد».

هذا يحصل في منزلٍ عادي، يُحوِّل ساكنه إحدى غرفه إلى صالة صغيرة. هنا أيضاً، يختبر المُشاهد قدرته على مُشاهدة أكثر من فيلمٍ واحد، في «مكان واحد وزمن واحد». لا علاقة للـ«سينيفيليّ» بهذا الاختبار. هناك من يحبّ السينما وأفلامها من دون أن يكون «سينيفيلياً»، يلتزم السينما وأفلامها كنمط حياة وعيش وثقافة وسلوك وتأمّلات وتفكير وملذّات. هناك من يجعل غرفةً منزليةً صالةً صغيرة، من دون أنْ يصبو إلى أكثر من مُشاهدةٍ، تمنحه تسلية وترفيهاً، يومياً ربما، أو أكثر من مرة أسبوعياً. هناك من يجهد في تحسين تلك الغرفة بتقنياتها كافة، كي يتمتّع بمُشاهدة فيلمية، أو كي يمارس ألعاب فيديو.

من يُشاهد فيلماً أو أكثر، في طائرة أو في غرفة منزل تُشبه صالة صغيرة، لن يكون «سينيفيلياً» بالضرورة. لذا، يريد مُشاهدة بأي ثمنٍ، فالصُور أمامه تمنحه بعض سكينة وهدوء، وتُخفِّف من ثقل الوقت، ولو قليلاً، وتجعله في مكانٍ آخر غير الطائرة التي في السماء، والغيوم حولها أو تحتها. اختبار مُشاهدة أكثر من فيلمٍ لن يُغريه ربما، ولن يكترث به ربما، وإنْ يفعل هذا، فالمُشاهدة بالنسبة إليه تهدف إلى «تسريع» الوقت لبلوغ المدينة المنتظرة في أقرب وقت، و«يا ليتنا نصل قبل الوقت المذكور على بطاقة السفر»، فهذا أفضل.

هذا جزء من السينما وسحرها. قدرتها على تأجيج مشاعر وانفعالات (كقدرتها على تحريض المُشاهد على تفكير وتأمّل أيضاً) يُفيد مُسافراً. مُشاهداً في ساعات بقائه في فضاء مفتوح على احتمالات ومخاوف، أو على متع وراحة، فمسافرون كثيرون غير قلقين وغير خائفين وغير متوتّرين من سفرٍ طويل أو قصير، فالسفر لهم متعة بحدّ ذاتها. هؤلاء، أو بعضهم على الأقلّ (منهم من يكتفي بالقراءة أيضاً)، ربما لن يهتمّوا بشاشة صغيرة جداً، ليُشاهدوا عليها، مع تعب في العينين والأذنين، أفلاماً مختلفة، لعلّها لن تُضيف شيئاً إلى متعة السفر التي يشعرون بها أصلاً.

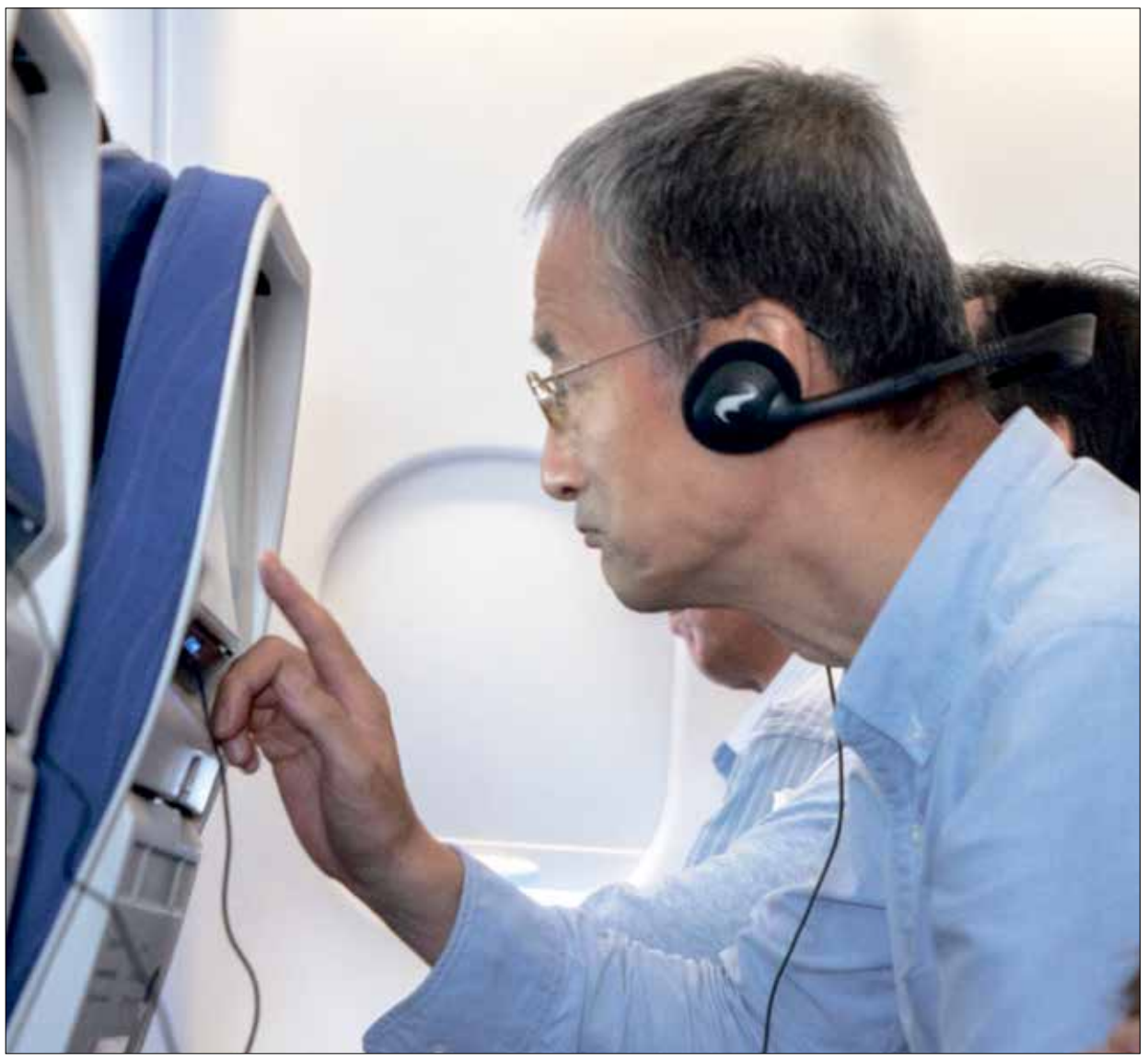

مُشاهدٌ في طائرة يبحث عن فيلم: أي متعة هذه؟ (زانغ بينغ/ Getty)

عن بيروت وبعض أهوال العيش فيها

إنّها مجرّد ذكرى يا عزيزي لا أكثر

كلّ حدثٍ لبناني يُصبح، سريعاً، مجرّد ذكرى. الأحداث كثيرة، ومعظمها ضاربٌ في صميم العيش اليومي والعلاقات المعطوبة بين الناس. الانهيار يُصبح ارتطاماً بقاعٍ لا مثيل له، ومع هذا يُصبح مجرّد ذكرى. بعد أيام، يريد البعض احتفالاً بـ«ذكرى» مرور عام على انفجار مرفأ بيروت (4 أغسطس/ آب 2020)، رغم أنّ الانفجار جريمة، والفاعل معروفٌ، والحراك. من أجل عدالة محقّة لقتلى الجريمة وجرحاها، وللمُصابين بأعطابٍ مختلفة بسببها. حكرٌ على أهلٍ وأقاربٍ ومعارف قلائل.

بيروت تغرق في العتمة الكاملة. هذا واقع، لا شعر ولا انفعالات. بيروت لن تخرج من رمادها، كطائر الفينيق الغارق، أكثر فأكثر، في أسطورته المُثيرة للحزن والاكتئاب أصلاً. كلّ شيء آيل إلى زوال، والزوال، كما يبدو الآن، غير قابل لانتعاشٍ أو نهضة. كلّ شيء آيل إلى زوال، باستثناء فساد ونهب ووقاحة يمارسها متسلّطون على البلد وناسه، قادرون على ابتكار المستحيل وغير المتوقّع في صُنع فسادهم ونهبهم ووقاحتهم. الغضب يشتعل فرادى، فالبلد معروف بـ«مبادراته الفردية»، والمبادرات تلك صانعة أدب وفنون واقتصاد ومال وسياحة وصحافة وإعلامٍ، كصُنعها فساداً ونهباً ووقاحة.

الغضب فردي، ككلّ شيء آخر. العصابات الحاكمة أفراد يجتمعون على شرٍّ، ويختلفون في كيفية تقاسم غنائمه، وبين الغنائم أناسٌ، يُدرك أفراد العصابات تدجينهم بفتاتٍ مؤقّت، أو بسحقهم عند ارتفاع صوت للتعبير عن ألم. التوتر حاصلٌ في اللامرئيّ أيضاً، في هواء ملوّث، وفضاء عابق برطوبة قاتلة، كما في شارع مكتظ بزحام، يتناقض مع فقدان البنزين أو ندرته. حديدٌ يُخفي وراءه محلاّت مقفلة، وعتمة النهار في محلاّت مفتوحة أبشع من بيروت المعتمة. سهرات في ملاهٍ باذخة تمتلئ بأناسٍ «يعشقون الحياة» أو «يهربون من الموت»، ولو للحظات، وسهرات أخرى في أمكنة صغيرة، في أزقّة ضيّقة، في شارع الحمرا، يلتقي فيها قليلون لتمضية وقتٍ بائس في عتمةٍ تزداد سطوة وتخريباً.

بعض أهل ضحايا انفجار مرفأ بيروت: لا عدالة لأصحاب الحقّ (دييغو إيبارّا سانشيز/ Getty)

> المسافة تضيق بين غرفة وشارعٍ قريبٍ وأمكنةٍ معتمةٍ

الغضب فردي، وهذا غير نافع لتغيير أو انقلاب. تحديد مواعيد معينة لاحتفال بذكرى، لعلّ الاحتفال يُتيح للغضب الفرديّ أن يشتعل في كثيرين فيدفعهم إلى الشوارع لتعطيل المُعطّل في البلد أصلاً؛ هذا التحديد نفسه يُناقض الرغبة الحقيقية في التغيير والانقلاب. كلّ هذا التراكم العنفيّ، المتمثّل في اختفاء الضرورات اليومية على الأقل، وارتفاع أسعار الموجود مثلاً، غير متمكّن من إحداث ما يُفترض به أنْ يحدث. فـ«الثورة» لن يصنعها جائع، لأن الجائع سيتقاتل مع جائع آخر، يقول البعض، وهذا يتنافى وجوهر الثورة، فأبناء الطبقات الوسطى لن يثوروا، والأثرياء لن يثوروا، والفقراء في لبنان يتقاتلون فيما بينهم، وينهبون بعضهم البعض، وهذا صحيح، لخوف أصيل فيهم من زعيم أو قبيلة أو طاغية أو مؤسّسة طائفية. وهذا أسوأ المساوئ.

المسافة تضيق بين غرفة وشارع قريب وأمكنة معتمة. الاختناق يزداد. الكتابة متنفسٌّ، لكنّها غير نافعة، وإنْ تذهب إلى فيلمٍ أو سينما، أو إلى أحوال الفن السابع، هنا وهناك. الكتابة حاجة وملاذ، لكنّ المكتوب يفقد قيمته لانكسار كاتبه في خيبة وألم. أقرب صالة تُصبح كأنّها في آخر المعمورة. انتظار فيلم لصديقٍ أو لمخرج يُثير متعةً، يُقضى عليها سريعاً فالمُشاهَدة ستطول، والواقع اللبناني غير ثابت وغير آمن وغير مُريح.

إنّها الذكرى الأولى لجريمة مرفأ بيروت. يظنّ البعض أنّها ستُحدث شرارة ثورة أو تبديل، كتلك التي «أشعلت» عنبراً و«ارتكبت» جريمة.

إنّها مجرّد ذكرى يا عزيزي، لا أكثر.

نديم...

أفلام جديدة

■ Rouge لفريد بنتومي، تمثيل زيتا أونرو (الصورة): حكاية مصنع وعمّالٍ وعلاقات وبيئة، عبر نور، التي تُصبح ممرّضة في مصنع للكيماويات، وصحافي يبدأ التحقيق في مسألة إدارة النفايات في المنطقة نفسها. المصنع يخضع لرقابة صحية، والصحافي يبحث عما يجري واقعياً، ووالد نور يمثّل نقابة العمّال إزاء إدارة المصنع. تتداخل المسائل في ما بينها، ويُصبح كل واحد في مواجهة نفسه والآخرين.

■ Babyteeth لشانون مورفي، تمثيل إليزا سْكانْلن (الصورة): لا يوافق والدا ميلا، المراهقة الأسترالية، على حبّها لموسى، الأكبر سنّاً منها، والمهمّش والمدمن على المخدرات. ربما يكون هذا عادياً، لكن ميلا مُصابة بمرضٍ سرطانيّ «يُهدّد بجعلها تختفيَ قبل الأوان»، ما يُزيد صعوبة العلاقة بينها وبين والديها، وصعوبة عيشها أيضاً في أجواء ضاغطة كهذه.

■ Teddy للودفيك وزوران بوكِرْما، تمثيل كريستين غوتييه (الصورة): في إحدى بلدات جبال البيرينيه، يُثير ذئبٌ غضب القرويين. تيدي (19 عاماً)، لا يملك شهادة، وصديقته ريبيكا انتهت للتوّ من امتحانات البكالوريا. يعمل في صالون للتدليك، ويُقيم مع عمّه بالتبنّي. يُفترض بهما أنْ يعيشا عطلة الصيف بشكل عادي، لكن «وحشاً» غامضاً ينقضّ على تيدي في ليلةٍ، فتبدأ سلسلة أحداثٍ قبل كشف حقيقة الوحش.

■ Le Disciple لشِتانيا تامْهان، تمثيل سوميترا باف (الصورة): لا يريد شاراد نرولكار شيئاً آخر سوى الموسيقى، التي سيُكرّس حياته لها، بهدف أنْ يُصبح مغنياً وموسيقياً كلاسيكياً هندياً. يتابع بجدّية وشغف تعاليم مُدرّسيه، ويلتزم انضباط الشيوخ ووالده. لكنّه، بعد أعوام عدّة، يتساءل عمّا إذا كانت هناك إمكانية فعلية لتحقيق ما يصنع تميّزه واختلافه عن كلّ التقاليد الموسيقية والغنائية التي درسها وتمرّن عليها واختبرها.

■ Cruella لكريغ غيلّسبي، تمثيل إيما ستون (الصورة): تُصمّم ستيلا، المحتالة والموهوبة، على صنع اسم لها في عالم الموضة، في لندن، في سبعينيات القرن الـ20، المليئة بموسيقى الـ«روك» والـ«بانك». تعاشر شباناً أوغاداً يرتكبون أفعالاً جرمية مختلفة، قبل أن تنتبه إلى تصميماتها البارونة فون هيمان، الشخصية الرائعة والبارزة في عالم الموضة والأنيقة والمتعجرفة. علاقتهما تقودهما إلى اكتشافات تقود ستيلا إلى الجحيم.